الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ سليمان ظاهر
على اقتراح الاستاذ « المغربي »

ان اللغة هي اداة للتعبير عن مرادات النفوس واغراضها التي هي في تجدد مستمر ، والامم ليست سواء فيما يعرض لها من مقتضيات الحياة وفي مواد التفكير ، واخذ الفاقد عن الواجد من طبيعة العمران ومدنية الانسان ، واستكمال أمة من الامم وسائل علومها وحاجاتها دفعة واحدة غير معقول ، والعلوم والحاجات لا تتناهى فالاوضاع اللغوية والاتساع فيها للتعبير عن المتجددات من الضرورات التي لا مفر منها .

فلا جرم ان حصرها في منطقة ضيقة والوقوف فيها موقف التلقي عمن لم تتسع عندهم دائرة الحاجة الى متجدد الاوضاع اتساعها عمن خلفهم لهو ضرب من ضروب التحجير على جري الافكار في حلبة الاختراع والابتكار ، وسد للعقول عن ولوج ما لا يتناهى من ابواب المدركات والمعلومات ، وما كانت اللغة العربية الا كغيرها من اللغات هجيراها التجدد والاتساع ، ودأبها السير في التعبير عن الحادثات حسب الدواعي والمقتضيات .

واذا ساغ للامة العربية وهي في جاهليتها والتغلب على البسائط هو كل ما ترمي اليه من الاهداف وهي امة امية . — اخذُ ما لا يستقصى من اسماء المسميات التي اضطرت اليها وما لم تضطر اليه مما كان له مرادف في لغتها ، وكان لها الوضع ، وكان لها النحت والتعريب والمجازات والكنايات والاستعارات وهي لم تكن امة علمية ولا صناعية . ولا كان للحضريين منها ما كان للامم المعاصرة لها من اليونان والفرس والرومان من علوم وحضارات — واذا ساغ لها وقد استقبلت في عهد اسلامها . وقد بلغت المدى البعيد من مستعذب بيانها . علوّ بلاغة قرآنها . وفي عهد ازدهار سلطانها وقد جاست خلال الديار . وملكت الامصار . حضارات الامم المغلوبة لها وعلومها .

اذا ساغ لها وهي في هذه التطورات اخذُ الكثير مما لم يكن له اسم ولا مسمى في لسانها . واخذ مصطلحات الفنون الطارئة وهي القابضة على زمام العرفان والصولجان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

— أفلا يسوغ لنا وأمرنا بيد غيرنا ولسان حاله ومقاله ينشد في ربوعنا قول قائلنا الاول :

(أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع)

احتذاء مثالهم واتباع طريقتهم في جاهليتهم واسلامهم . وما كان القوي في سلطانه . الا قوياً في لسانه . ومن غلبنا بايده ومنته . أفلا يغلب لغتنا بلغته . (ومن عز بز) .

وهذا باب التعريب مفتوح لنا على مصراعيه . والنحت والاشتقاق لم يكونا حجراً على اوائلنا . والنقل اللغوي من موضع الى موضع آخر حادث مما استعمله القرآن والاسلام وقد ضبط الكثير منه الائمة . ودرج على هذه السبيل في النقل العرفي بقليل من المناسبة علماء العرب في كثير من مصطلحات العلوم والفنون . ولم يذهب ذاهب الى حصر دائرة التعبير عن الأغراض بما سمع من العرب من حيث تراكيب الجمل ان حصر بمتابعتهم بها من حيث نوعها والجري على أساليبهم . واذا ضممنا الى ذلك ما تلقيناه عنهم من استعمال المطلق في المقيد والخاص في العام والعام في الخاص وما الى ذلك من ضروب التجوز وهما هو سنة من سنن اللغة تبين لنا ان مناحي التعبير أمامنا واسعة النطاق وان لغتنا كسائر اللغات الحية خاضعة لناموس التكامل .

وهذه لغات الامم تحمل الينا ما لا يحصى من اسماء المتجدد من فنون وصناعات وعلوم وهي تزاحم برطاناتها المستعجمة ببان لغتنا كما يزاحمنا حملتها على كل ناحية من نواحي حياتنا وعلى كل مرفق من مرافقها . والزمان غير متسع لنا لتخير الأوضاع لها من صلبها . وهي تسابق في تدفق إتيها خطرات نفوسنا . ومجاري أنفاسنا . والحزم ان نتدارك الامر قبل بلوغ السيل الزبا والحزام الطيبين فنضع للجديد ما نجد سبيلاً الى وضعه من الالفاظ ونعرب ما لا ننبو عنه لغتنا . وما يصح اندماجه فيها . ولا نفوته خفتها ورقتها مع مراعاة أساليبها . ولا يذهب شيئاً من روعتها وروائها . ولا نأبى المولد اذا لم نجد بدأ منه . ولا الدخيل اذا لم نلق عنه بديلاً . والا فلا نأمن تشويه محاسنها بما يتسرب اليها من رطانات الغريب . ومن اندماج أساليبه باساليبها . ومن انقطاع الصلة بين عاميتها وفصحاها .

وبعد فان لها من اتساع المادة ومن مرونتها ومن سننها التي لا تماثلها فيها لغة من اللغات ما يساعد العاملين على انهاضها مع مراعاة سننها وقوانينها . والتقيد بما صرح به

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأئمة من منع او جواز . وان لا يهجر استعمال ما سكتوا عنه اذا ورد في كلام البلغاء سواء أكانوا ممن حصر الأئمة الاحتجاج باقوالهم ام كانوا من غيرهم ممن ذاعت شهرتهم في المنظوم والمنثور . وان لا يمنع استعمال ما تمس اليه الحاجة اذا لم يرد له نص لغوي ولا ورد في كلام البلغاء بضرب من التجوز او بالرجوع فيه الى قواعد الاشتقاق . وبعد هذا التمهيد أقول في الجواب على اقتراح حضرة الزميل العلامة المحقق الاستاذ المغربي .

اما عن الصنف الاول فبجواز استعمال تبدى بمعنى ظهر (١) لورودها في شعر ذلك العربي القح . (٢) لورودها في الحديث النبوي مرتين كما جاء في تاريخ الامام الطبري (جزء ٢ ص ٢٠٥ و ٢٠٩) من الطبعة المصرية . (٣) لاستفاضة هذا الاستعمال بشعر غير واحد من فحولة الشعراء فقد استعملها عمر بن ربيعة المخزومي من شعراء صدر الاسلام في قوله :

(فتبدت حتى اذا جُنّ قلبي حال دوني ولائد بالثياب)

وابو تمام الطائي في قوله :

(اذا تبدى علي في كتائبه لم يحجب الموت عن روح ولا بدن)

وابو سعيد الرستمي من شعراء اليتيمة في قوله :

(تبدت لنا والريح داج ظلامه)

الى كثير من غيرهم . وما كان سكوت المعاجم عن ذكرها حجة على عدم الجواز . ودعوى استيعابها كل لغة العرب مدفوعة بما اورده الامام احمد بن فارس في كتابه الصاحبي قال: ذهب علماؤنا او اكثرهم الى ان الذي انتهى الينا من كلام العرب هو الاقل قال ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير . وأحر بهذا القول ان يكون صحيحاً .

ومدفوعة ايضاً بما زاده كل لاحق من رجال المعاجم عن سابقه من مفردات لم تذكر واشتقاقات أغفلت .

ولقائل ان يقول ان تركهم ما تركوه لعله ناشيء عن عدم استيثاقهم بصحته و باعراضهم عنه ايماء الى ذلك . والا فما كان ليفوتهم العلم باستعماله . وجوابه ان ما عرف من أمانتهم في النقل . واحتياطهم للغة من ان يتطرق اليها غير المسموع من العرب و بخاصة في الشعر السائر . بذكرهم في مطاوي ابحاثهم ما كان غير صحيح منه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

او ما كان مولداً وما الى ذلك لدليل على صحة استعمال ما سكتوا عنه والا لم يتركوا التنبيه على فساد استعماله . وما كانوا اقل احتياطاً بتصحيح ما صح من الكلم المستعمل والحكم بفساد الفاسد منه من ثقات الحديث بنقل الحديث ومراعاة أسانيده وضروبه . ولعل المسكوت عنه مما لم يبلغهم وقد فات الكثير منهم الكلام الكثير وكم ترك الاول للآخر .

لم يذكر في المعاجم اقاح غير معتل مع انه ورد في قول ابي تمام الطائي :

(ونبسم العقل ابتسام اقاحه متزاهراً عن باكر الانداء)

ولا تقصده بمعنى قصده او أقصده اي قتله الواردة في قول ابي الطيب المتنبي :

(تقصده المقدار بين صحابه على ثقة من دهره وامان)

فهل يحجر علينا ترك استعمال اللفظتين لانهما لم يذكرا في المعاجم وهل ابوتمام والمتنبي وهما الحجة في اللغة والبيان واليهما انتهت امرة الشعر والاول صاحب الحماسة وشعر القبائل والحافظ الكبير والثاني هو الذي شهد له ابن جني من الأئمة بسعة الاطلاع . هل هما اقل وثوقاً من اصحاب تلك المعاجم . وهل يستجيزان استعمال ما لا يجوز ان لم يكن لهما حريجة في النقل تمنعهما من ذلك الا يتخوفان شر الحسدة وتزييف النقدة الذين يحاسبونهما على الخطير والنقير .

وعن الثاني (١) بعدم جواز استعمال (أقصّ الخبر رباعياً) بمعنى قصه ثلاثياً لوجهين الاول لعدم النص عليه في المعاجم . والثاني لاحتمال تحريف أقصصته من أقتصصته الوارد استعمالها في كلام الامام الطبري في موضع آخر من تاريخه (ص٣٧ جزء٣) من الطبعة المصرية . والاحتمال يبطل الاستدلال . (٢) وبعدم جواز استعمال نخيم بمعنى نخم لعدم وروده في كلام الفصحاء والمولدين والمحدثين الذين هم في زمانهم أقرب من زمان سلامة اللغة من الفساد . (٣) وبعدم جواز استعمال صدفة مكان مصادفة للعلة التي ذكرت في نخم .

وعن الثالث بلزوم الترخيص باستعماله وبخاصة ما يتعلق منه بالمصطلحات العلمية متابعة للأئمة باستعمال نظائره . قال العلامة ابن ابي الحديد في خاتمة شرحه لنهج البلاغة .

« وقد استعملت في كثير من فصوله فيما يتعلق بكلام المتكلمين والحكماء خاصة الفاظ القوم مع علمي بان العربية لا تجيزها . نحو قولهم المحسوسات . وقولهم الكل والبعض .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقولهم الصفات الذاتيـة . وقولهم الجسمانيات . وقولهم إما اولاً فالحال كذا ونحو ذلك مما لا يخفى عمن له ادنى أنس بالأدب ولكننا استهجنا تبديل الفاظهم . وتغيير عباراتهم . فمن كلم قوماً كلمهم باصطلاحهم (ومن دخل ظفار حمّر) .

اما لفظ كيفية فهي صحيحة لورودها في البيت المنسوب لامير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) :

كيفية المرء ليس المرء يدركها فكيف كيفية الجبار ذي القدم

ووروردها جمعاً في دعائه المعروف بدعاء الصباح وهو من ابلغ كلامه . قال في وصفه تعالى (وجلّ عن ملائمة كيفياته) .

وعن الصنف الرابع بمنع استعمال المخابرة بمعنى المراسلة (١) لعدم النص اللغوي . (٢) لعدم ورودها في كلام فصحاء المسلمين الذين لا ارى مانعاً من الاحتجاج باقوالهم اذا كانوا ممن تباعدت عصورهم عن عصور فساد اللغة الاخيرة . (٣) لعدم الضرورة . (٤) لانتفاء علاقة المجاز بين معناها اللغوي والمعنى الحادث اذا حاولنـا تصحيح استعمالها بضرب من التجوز وذلك لانها من مادة خبرت الارض اي شققتها للزراعة فأنا خبير . ومنه المخابرة وهي المزارعة على بعض مايخرج من الارض (كذا في المصباح) . واصرح من هذا في المنع ما جاء في نهاية ابن الاثير قال (جزء ١ ص٣١٤) من الطبعة المصرية « وفيه : انه نهى عن المخـابرة . قيل هي المزارعة على نصيب معين كالثلث والربع وغيرهما . والخبرة النصيب . وقيل هو من الخبار (الارض اللينة) . وقيل اصل المخابرة من خيبر لان النبي صلى الله عليه وسلم أقرّها في ايدي اهلها على النصف من محصولها فقيل خابرهم اي عاملهم وانت خبير ان شيئاً من ذلك لا يناسب معنى المراسلة الجديد .

وبمنع استعمال احتار مكان حار وتحير لعدم النص ولعدم ورودها في كلام الفصحاء . ولعدم الضرورة الداعية .

وبجواز استعمال تفرج على الشيء للحاجة الداعية ولشيوع استعمالها . وبعدم التردد في جواز استعمال تنزه (١) لشيوع استعمال الفصحاء لها . (٢) لتصريح الزمخشري في الاساس بقوله « وخرجوا يتنزهون يتطلبون الاماكن النزهة . وهم في نزهة ونزه » وقال ابن قتيبة : ذهب بعض اهل العلم في قول النـاس (خرجوا يتنزهون) الى البساتين انه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

غلط وهو عندي ليس بغلط لان البساتين في كل بلد انما تكون خارج البلد فاذا أراد احد ان يأتيها فقد أراد البعد عن المنازل والبيوت . ثم كثر هذا حتى استعملت في الخضر والجنات .

وقال ابن القوطية وجماعة نزه المكان فهو نزه من باب تعب . ونزه بالضم نزاهة فهو نزيه . كذا جاء في المصباح وكأنها حقيقة عند الزمخشري بهذا الاستعمال لانه لم يذكرها في المجاز على طريقته في الاساس .

وكيف كان فانه لامجال للتردد بالجواز بعد شيوع الاستعمال مع هذه النصوص الصريحة واذا كانت حقيقة في التباعد ولم نشأ ان نجعلها حقيقة في المعنى الثاني فهي مستعملة فيه مجازاً والمناسبة بين المعنيين جلية .

وعن الصنف الخامس بجواز استعمال ما خف لفظه على السمع مثل فلم وبالون ان اقتضت الضرورة . وتعذر وضع مايؤدي مؤداه من الفاظ اللغة العربية . واما ما ثقل لفظه فلا استجيز استعماله الا مع مراعاة مكان الحاجة والضرورة ومراعاة سنة العرب في تعريب الدخيل والباسه دبباجة العربي ولا ارى مانعاً من اقرار المستعملين على استعمال ما كان من الاول اذا تعذر ارجاعهم عنه .

وعن الصنف السادس بجواز استعمال الاساليب او التراكيب الأعجمية اذا كانت جارية مجرى الاساليب او التراكيب العربية كالأمثلة التي اوردها الاستاذ المقترح ولا مجال للتردد في جواز استعمال نظائرها والا وقعنا فيما فررنا منه من الجمود وعلى هذه الطريقة نهج فصحاؤنا المتقدمون والمحدثون كما يتضح ذلك كمال الوضوح لمستقري طبقاتهم وعصورهم ومحدثاتها من علوم وفنون وما اليهما مما تسرب اليهم من اختلاطهم بالامم المغلوبة والغالبة .

وعن الصنف السابع بمنعه البتة الا ما كان عامياً فصيحاً مهجوراً او محرفاً بعد ارجاعه الى اصله الفصيح . ولو أجزنا فتح الباب لاستعمال كل عامي لاختلط الحابل بالنابل ولشوهنا محاسن الفصحى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net